# الأسرة ودورها في الحفاظ على استقرار المجتمع

## ٢٩من جمادى الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠من فبراير ٢٠١٥م

**أولا : العناصر :**

١. الأسرة عماد المجتمع.

٢. عناية الإسلام بالأسرة.

٣. عوامل النجاح في بناء الأسرة.

٤. دور الأسرة في تعزيز أمن واستقرار المجتمع.

**ثانيًا : الأدلـة :**

**الأدلة من القرآن الكريم :**

١. قال تعالى : { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الذاريات: ٤٩].

٢. وقال تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦].

٣. وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } [النساء: ١].

٤. وقال تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١].

٥. وقال تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } [التحريم: ٦].

٦. وقال تعالى : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ " ( لقمان :١٤).

٧. وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: ٧٤].

٨. قال الله تعالي : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" ( الإسراء ٢٣،٢٤).

٩. وقال تعالى : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " ( الأحقاف : ١٥ ) .

**الأدلـة من السـنة :**

١- عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » (متفق عليه) .

٢- وعن أبي هريرة ( رضي الله عنه ) عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال : " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" ، ( رواه البخاري ) .

٣- وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) يَقُولُ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (متفق عليه).

٤- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): ( مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (رواه البخاري).

٥- وعن أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) . (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (رواه أبو داود).

٧- وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ»(السنن الكبرى للنسائي).

٨- وعن ابن مسعود ( رضي الله عنه ) قال : " سألت النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أي العمل أحب إلى الله قال : " الصلاة على وقتها ، قال ثم أي ، قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ، قال : الجهاد في سبيل الله " ، ( متفق عليه ) .

**ثالثًا: المـوضــوع:**

إن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون فيها صرح المجتمع فهي التي تتولى حماية النشء ورعايته وتنمية أجساده وعقوله وأرواحه، وفي ظلها تتلاقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل؛ فهي التي تصنع الرجال الأبطال الذين تقوم عليهم المسؤوليات ، وعلى أكتافهم تصان الحرمات ، فمن الأسرة يخرج القائد المقدام ، والعالم الإمام ، والطبيب الماهر ، والمهندس الباهر ، والرجل الفاضل ، وبمقدار ما تكون عليه الأسرة من قوة أو تقوم عليه من قيم؛ فصلاحها يعني صلاح المجتمع، وفسادها يعني فساد المجتمع.

ومن هنا اهتم الإسلام بالأسرة اهتمامًا بالغا يناسب أهميتها في كيان المجتمع وأثرها الفعال في حياة الأمة ومستقبلها، ويتجلى ذلك الاهتمام في بيان كل ما يتصل بتكوين الأسرة من الأحكام والواجبات وما تقوم عليه من التقاليد والآداب وما يكفل سلامتها من الفتن والخلافات ويوفر لها الحماية من عوامل التحلل والفساد ؛ كي تؤدي رسالتها في أمن واستقرار و إعداد النشء وتربيته على القيم الفاضلة والمُثُلِ العليا.

وقد وصلتْ عنايةُ الإسلام بهذا المكون الرئيس للمجتمع (الأسرة) إلى درجة كبيرة؛ حتى إن هذه العناية امتدتْ إلى ما قبل تأسيسها في مُحَاوَلة إلى انتقاء عناصر بنائها بما يحقِّق التلاؤُم والانسجام، ويُقَلِّل من دوافع الفشل لبنيانها، بل إنَّ الإسلامَ حَثَّ أتباعه على المساهَمة في تكوين هذه الأسرة عبر وسيلته المشروعة وهي الزواج، الذي اعتبره الإسلامُ إحدى سُنَن الله في الخلق لما يحققه من مقاصد في الحياة الإنسانية؛ إذ يقول الله – تبارك وتعالى -: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ويقول سبحانه :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: [٣٦].

فالزواج إذًا سُنَّة كونِّية ، ولا ينبغي للإنسان أن يشذَّ عنها ؛ إذا إن الله – ومنذ أن خلق الإنسان الأول آدم وأسكنه الجنة – لم يدعه وحده في الجنة ، بل جعل له حواء ليسكن إليها ، فلا يستطيع أن يحيا وحده بلا أنيس ولا جليس ؛ لذلك خلق الله لآدم من نفس جنسه زوجًا : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " ( النساء ١: ) ، بل إن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) دفع الشباب دفعًا إلى تحقيق هذه السنة ، موضحًا فوائد ذلك ومنافعه فقال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " ( متفق عليه ) .

وقد حدد الإسلام المعايير والأسس، التي يجب عليها اختيار الزوج لزوجته والزوجة لزوجها وفي مقدمتها الدين والخلق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " تُنْكَحُ

الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ " ، ( صحيح البخاري ) وعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(سنن البيهقي).

فالزواج علاقة تقوم على الودِّ والحبِّ والحنان لا تقوم على الصراع ومحاولات كلِّ طرف لإثبات ذاته، ففي أحضان الأسرة المتماسكة الملتزمة بأحكام الله تنمو الخلال الطيبة، وتنشأ الخصال الكريمة، ويعيش الصبية الصالحون حيث تسود المودة، وتنتشر الرحمة في جنبات هذا البيت الكريم، متمثلاً فيه قول الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١].

إن المودة والألفة هي قوام الأسرة، وإن أجلى مظاهرها وأوضح أسبابها حسن العشرة، ولزوم الطاعة، والتواصي بين الزوجين بالخير، وجميل الخلق، فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخير المؤمنين خيرهم لنسائهم، والمرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت.

إن الإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية – التي هي النواة الأولى للأسرة– على المحبة، والتفاهم والانسجام، وهذه هي أهم خطوة في إصلاح المجتمع يليها تربية النشء وتحصينه، وهذه التربية هي مسئولية الأسرة، رجالاً ونساءً، فكل فرد راع ومسئول عن رعيته.
ولقد فطر الله –عز وجل– الناس على حب أولادهم ، قال تعالى : {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا }[الكهف: ٤٦].

ويبذل الأبوان الغالي والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتنهم وتعليمهم ، ومسؤولية الوالدين في ذلك كبيرة ، فالأبناء أمانة في عنق والديهم ، فعليهم أن يحسنوا أداء هذه الأمانة ، وأن يتقوا الله فيهم ، وأن يعودوهم الخير ، فإن تعودوا الخير وتعلموه نشأوا عليه ، وسعدوا في الدنيا والآخرة ، وشاركهم في ثوابهم أبواهم ، وكل معلم لهم ومؤدب ، وإن عُوّدوا الشر وأهملوا شقوا وهلكوا ، وكان الوزر في رقبة والديهم ، فقد قال الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ " ( التحريم :٦ ) ، وعن ابن عمر ( رضي الله عنهما ) : قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " ( متفق عليه ) .

إن نجاح الأسرة المسلمة يتحقق في المحافظة على فطرة الطفل السوية من الانحراف أو التشويه في أية مرحلة من مراحل نموه- مرحلة الولادة والرضاعة، مرورًا بمرحلة الحضانة والطفولة ، وهكذا ، ويؤكد هذا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)حيث يشير إلى هذه المرحلة بقوله: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (رواه البخاري).

ومن ثمَّ فإن للأسرة دورًا كبيرًا في رعاية الأولاد – منذ ولادتهم – وفي تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وما أجمل مقولة عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- "الصلاح من الله والأدب من الآباء" .

إن الأبناء يتمثلون بالأباء ويحملون عاداتهم السلوكية، وقديما قيل: وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه، فعلى الآباء غرس القيم والفضائل الكريمة والآداب والأخلاقيات والعادات الاجتماعية التي تدعم حياة الفرد وتحثه على أداء دوره في الحياة وإشعاره بمسئوليته تجاه مجتمعه ووطنه وتجعله مواطنا صالحاً في المجتمع مثل: الصدق والمحبة والتعاون والإخلاص وإتقان العمل.

كما يجب على الآباء غرس مفاهيم حب الوطن والانتماء وترسيخ معاني الوطنية في أفئدة الأبناء. فالوطن امتداد لحياة الآباء والأجداد ، وبدونه لا يكون الإنسان شيئاً فهو تلك البقعة من الأرض التي ولدنا بها ونموت فيها ، ونستمتع بخيراتها ونعيش في دفء أمنها ورعايتها ، ويجب أن يعي الأب والأم أولاً معنى الوطنية والانتماء قبل أن ينقلوها إلى أبناءهم.

ولقد وجه الإسلام الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم وخاصة في سن التمييز، كما وجههم إلى أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ليكتسبوا منهم كل خلق كريم وأدب رفيع وعادة فاضلة، كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ورفقاء السوء حتى لا يقعوا في حبائل غيرهم وشباك ضلالهم ، فالمرء على دين خليله ، فلينظر الإنسان إلى من يصاحب ، قال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧] .

وعن أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ» وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: «مَنْ يُخَالِلُ»(مسند أحمد) وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(سنن الترمذي).

فعلى المربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات النبوية في تربية أولادهم حتى تسعد الأسرة وبذلك يسعد المجتمع، فإن الله عز وجل سائل كل راع عما استرعاه ، ففي الحديث عَنْ أَنَسٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ )

عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ»(السنن الكبرى للنسائي).

وإذا كان هذا دور الآباء نحو الآبناء فعلى الأبناء واجب نحو آبائهم أوكله الله إليهم ، فقد أمرهم الله – عز وجل – ببرهم والإحسان إليهم في عدة مواضع من كتابه الكريم ، جزاء تربيتهم ، والمعاناة من أجلهم فقال تعالى "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"( لقمان :١٤ )

ولن يستطيع الأبناء أن يحصوا ما لاقاه الأبوان من تعب ونصب وأذى ومشقة ، وسهر وقيام ، وقلة راحة وعدم اطمئنان من أجل راحتهم في سبيل رعايتهم ، والعناية بهم ، فسهر بالليل، ونصب بالنهار ، ورعاية واهتمام ، وتعهد وتحسس لما يؤلمهم ، فهما يقومان بعنايتهم ، ويراقبان تحركاتهم وسكناتهم ، وصحتهم ، وصتهم ومرضهم ، يفرحان لفرحهم ، ويحزنان لحزنهم ، ويمرضان لمرضهم .

وإذا تتبعنا رحلة الأم مع ولدها وجدناها رحلة تعب ونصب لكن مع سرور وفرح ، فالأم تعاني في حملها ما تعاني من آلام ومرض ووهن وثقل ، فإذا آن وقت المخاض والولادة شاهدت الموت ، وقاست من الآلام ما الله به عليم ، فتارة تموت ، وتارة تنجو ، وياليت الألم والتعب ينتهي عند هذا الحد ، بل يكثر التعب والنصب ويشتد بعده ، فحملته كرهًا ووضعنه كرهًا .

ففرح الأم وحزنها يتوقف على فرح ولدها وحزنه وكذلك في جميع حالاتها ، فتذبل الأم وتضعف لمرض وليدها وفلذة كبدها ، وتغيب بسمتها إن غابت ضحكته ، وتذرف دموعها إذا اشتد به المرض ، وتحرم نفسها الطعام والشراب إن صام طفلها عن لبنها ، وتموت راضية إذا اشتد عوده وصَلُب ، ولوكان ذلك على حساب صحتها وقوتها وسعادتها .

ترى الحياة نوراً عندما ترى طفلها ووليدها وفلذة كبدها مع الصبيان يلعب ، أو إلى المدرسة يذهب هذه هي الأم التي أوصى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ثلاث مرات بها عندما سأله رجل في مَنْ يُبّر ، فلها ثلاث أضعاف حق الوالد ، ولذلك جعل الله الجنة تحت قدميها ، قال تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً " ( الأحقاف : ١٥ ) .

ومن هنا كان المسلم الملتزم أبر الناس بوالديه من أي إنسان آخر في الوجود .

وقد ارتفع الإسلام في تصوير مكانة الوالدين ، وعرض الأسلوب الراقي الذي ينبغي أن يمارسه في معاملة والديه ، وبخاصة إن طال بهما أو بأحدهما العمر، وبلغا الشيخوخة ونال منهما العجز أو الضعف ما نال ، لأن هذه الأحوال مظنة وقوع ما يضجر منه الولد ، أو يستقذره من والديه،قال الله تعالي : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" ( الإسراء ٢٣،٢٤) ، ولعل الجمع في هاتين الآيتين بين النهي عن التأفف من الوالدين وبين الأمر بخفض الجناح لهم والدعاء لهم إشارة للأولاد ليتدبروا ويعلموا أن رحمتهم بوالديهم في الكبر وتذللهم لهما لا يكفي رد حقوحهم وإنما عليهم أن يدعوا الله تعالى أن يكافئهم عنهم ، بعطاء منه ورحمة حيث إن فضله عظيم ورحمة وسعت كل شئ ، ذلك لأن رحمة الوالدين بالولد في صغره ولا سيما الأم التي تتولى رعاية الصغير ونظافته إنما تكون مع اللذة والرغبة ، والسعادة والسرور ، ولن تبلغ رحمة الولد هذا الحد إطلاقًا .

وإن من يتتبع الأحاديث النبوية يجدها تتوالى لتؤكد فضل بر الوالدين وتحذر من عقوقهم أو الإساءة إليهما مهما تكن الأسباب والمبررات ، روى الشيخان عن أبن مسعود ( رضي الله عنه ) قال : سألت النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أي العمل أحب إلى الله قال : الصلاة على وقتها قال ثم أي قال ثم بر الوالدين قال ثم أي قال الجهاد في سبيل الله " ، ( متفق عليه ) .

وهكذا يتضح مدى ما أولاه الإسلام للوالدين من رعاية وحقوق تجمع معاني الاحترام ومظاهر التقدير وغض الصوت وخفض الجناح وإدخال السرور على قلبيهما ، مع امتداد هذا البر عليهما وعلى أصحابهما بعد وفاتهما ، وعلى هذه النشأة الكريمة ينبغي على الأسرة تربية أبنائها وتعريفهم بحقوق الوالدين .

جدير بالذكر أن الأمن والأسرة يوجد بينهما ترابط وثيق ،و يكمل أحدهما الآخر ، فلا حياة للأسرة إلا باستتباب الأمن ، ولا يمكن للأمن أن يتحقق إلا في بيئة أسرية مترابطة، وجو اجتماعي نظيف ، يسوده التعاطف والتآلف ، والعمل على حب الخير بين أفراده ، كل ذلك ضمن عقيدة إيمانية راسخة ، واتباع منهج نبوي سديد ، هذا الإيمان هو الكفيل بتحقيق الأمن الشامل والدائم ، الذي يحمي المجتمع من المخاوف ، ويبعده عن الانحراف ، وارتكاب الجرائم .

إن هذا الدور لا يتحقق إلا في ظل أسرة واعية تحقق في أبنائها الأمن النفسي ، والجسدي ، والغذائي ، والعقدي ، والاقتصادي ، والصحي بما يشبع حاجاتهم النفسية والتي ستنعكس بالرغبة الأكيدة في بث الطمأنينة في كيان المجتمع كله ، وهذا ما سيعود على الجميع بالخير الوفير .

ويتحقق الأمن في الأسرة بأن يقوم كل واحد من أركانها بدوره المنوط به، والذي من أجل تحقيقه تكونت الأسرة، فالذكر والأنثى أوجد الله في كل منهما خصائص قبل الوظائف، فيحقق كل منهما وظيفته من خلال خصائصه، ويتحمل مسئولياته مع تعاون الجميع في أداء الواجبات .

لقد اعتبر الإسلام أن بناء الأسرة وسيلة فعّالة لتحقيق الأمن ، ولحماية الأفراد من الفساد، ووقاية المجتمع من الفوضى، لأن التربية الأمنية تبدأ في نطاق الأسرة أولا، ثم المدرسة، ثم المجتمع، فالأسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل الحق والباطل، والخير والشر، ويكتسب تحمل المسئولية، وحرية الرأي، واتخاذ القرار، كل هذه القيم وغيرها يتلقاها الطفل في سنيه الأولى، دون مناقشة، حيث تتحدد عناصر شخصيته، وتتميز ملامح هويته،وإذا لم تتهيأ الفرصة بشكل كاف داخل الأسرة لتعلم هذه القيم، فإنه يتعذر عليه بعد ذلك اكتسابها لكي تكون جزءا من سلوكه .

ومما لاشك فيه أن مسئولية أمن الوطن تقع على عاتق كل من يعيش على أرض الدولة من مواطنين ومقيمين ؛حيث إنهم هم الذين ينعمون بالراحة والطمأنينة فيه ، وبالطبع فإن المسؤولية الأولى تقع على الأسرة؛باعتبارها البوتقة التي يخرج منها المواطن الصالح ؛ لذا يجب على الأسرة أن تعي دورها تماماً تجاه أمن المجتمع ، وأن تقوم بدورها من خلال تنشئة أولادها على حب الوطن وحفظ أمنه واستقراره.